عرض كتب

الانتصار في الحروب الحديثة:
العراق والارهاب والامبراطورية الامريكية
تأليف: الجنرال ويسلي كلارك
ترجمة عمر الايوبي
الناشر: دار الكتاب العربي-بيروت-٢٠٠٤

عرض
عبير سهام مهدي (*)

صدر عن دار الكتاب العربي في بيروت كتاب للجنرال ويسلي كلارك-القائد الاعلى الاسبق لقوات حلف شمال الاطلسي في اوروبا ومرشح الحزب الديمقراطي لانتخابات الرئاسة الامريكية-والمعنون "الانتصار في الحروب الحديثة: العراق والارهاب والامبراطورية الامريكية عام ٢٠٠٤.

يتوزع الكتاب على ستة فصول فضلاً عن المقدمة والخاتمة.

الفصل الاول من الكتاب حمل عنوان حرب الخليج، الجولة الثانية، يتحدث فيه المؤلف عن بداية النزاع الذي نشب بين الولايات المتحدة الامريكية والعراق ابتداءاً من غزو العراق للكويت عام ١٩٩٠ وانسحابه منها وما نجم عن هذا النزاع من اتهام العراق بامتلاكه لاسلحة الدمار الشامل واتهامه، في عام ١٩٩٨، بعدم تعاونه مع مفتشي الامم المتحدة، وفرض الحصار الاقتصادي عليه مع استخدام كافة الوسائل والاساليب من قبل الادارة الامريكية لاستمرار العقوبات عليه تحت ما يسمى بالعقوبات الذكية التي فرضت عام ٢٠٠١. تحدث هذا الفصل، ايضاً، عن احداث ١١ ايلول ٢٠٠١ وكيف شكلت هذه الهجمات (الارهابية) على مركز التجارة العالمي والبنتاغون نقطة تحول للادارة والعلاقات الامريكية مع العالم.

اما الفصلين الثاني والثالث فقد تناولا تفاصيل الغزو الامريكي الاخير للعراق من بد العمليات العسكرية، في آذار /٢٠٠٣، وصولاً الى سقوط بغداد واحتلالها. وكيف استطاع الاعلام الامريكي استخدام هذه الاداة كسلاح في المعركة سواء عن طريق البريد الالكتروني والترددات الراديوية المستخدمة لبث رسائل الائتلاف-"لا تقاوموا. لا تستخدموا الاسلحة الكيميائية. سلموا اسلحتكم"-الى الشعب العراقي، اضافة الى انه كيف استطاع الامريكيون تحقيق النصر؟ فمن وجهة نظر المؤلف ان اسباب النصر الامريكي واحتلال العراق يعود الى "الاخطاء التي ارتكبتها القيادة السياسية العليا في العراق عندما نظمت قواتها في ثلاث فرق شمال بغداد واربع في

(*) مدرس مساعد - كلية العلوم السياسية - جامعة بغداد

جنوبها، فبدلاً من الانسحاب الى بغداد وانتظار الامريكيين فيها اختاروا الدفاع المتقدم في المدن الجنوبية، وعندما بدأت تلوح اولى علامات النجاح ارتكبوا خطأ تعزيز تلك المدن، ما جرد بغداد من القادة والقوات الضرورية لبناء دفاع مدني حقيقي هناك. وهكذا عرض العراقيون قواتهم البرية الثمينة للخطر المباشر".

اما الفصل الرابع، والذي حمل عنوان الحرب الحقيقية: الارهاب، فقد تسائل الباحث فيه، وكثير من الامريكيين خاصة بعد ان اكتمل احتلال العراق، هل نحن آمنين في وطننا؟ هل نحن اليوم اكثر امناً مما كنا عليه في ١٠ ايلول ٢٠٠١ هذا هو السؤال الجوهري الذي يطرحه الامريكيون فيما يتعلق بالحرب الشاملة على الارهاب.

يجيب المؤلف قائلا: في سنة ٢٠٠٢ تدنت حوادث الارهاب في العالم اجمع بنحو النصف، وبحلول ايار/٢٠٠٣ كان نحو نصف الاعضاء المعروفين، الاكثر اهمية في القاعدة، قد ازيحوا اما لانهم قتلوا او اسروا او اعتقلوا. اضافة الى عدد من الاجراءات التي اتخذت في اعقاب احداث ١١/ايلول حيث صدر عن الكونغرس القانون الوطني والذي يسهل تبادل المعلومات بين الوكالات الامنية والاستخبارتية في تعقب الارهابيين، اضافة الى اعتقال العشرات من المشتبه بأنهم ارهابيون، كما رحل مئات من الاجانب المقيمين في الولايات المتحدة بصورة غير مشروعة، وانشئت وزارة الامن الداخلي وهي جزء من اعادة التنظيم الحكومي لتنظيم الجهود الشاملة لمكافحة الارهاب وتم اعداد استراتيجية قومية حتى لا تضرب الولايات المتحدة ثانية.

اما الفصل الخامس فقد تحدث عن الحملة الامريكية على افغانستان والكشف عن استراتيجية جديدة، والتي اعلنها الرئيس الامريكي عام ٢٠٠٢، ومن بين ما تضمنته، فيما يتعلق بالحرب ضد الارهاب، هو تبني ستراتيجية الضربة الاستباقية، أي تسديد الضربة الاولى للعدو والاقرار بان الولايات المتحدة لا يمكنها ان تبقى مكتوفة الايدي فيما تتكاثر الاخطار، والمقصود هنا هو الحاجة الى ضرب العراق. وقد انتهى المؤلف في هذا الفصل الى التأكيد بان تبني الولايات المتحدة لهذه الاستراتيجية ادى الى تدهور الوضع في افغانستان وتنامي الصراع على الارض داخل العراق "علينا ان نعترف بأننا اعدنا امداد القاعدة بالطاقة بالهجوم على بلد اسلامي وتوفير منفذ جاهز للارهابيين للوصول الى القوات الامريكية المعرضة للهجوم".

واخيراً يخلص المؤلف، في فصله الاخير، الى اهم الاخطاء الامريكية لعراق ما بعد الحرب والتي اوجز اهمها بالاتي:

١. عدم استطاعة قوات الائتلاف فرض الامن، لانها كانت تفتقر الى

القوى الكافية للقيام بـهذا العمـل، حيث لم يكـن بوسـعها احتـلال العراق والبحث عن اسلحة الدمـار الشامل وفي الوقت نفسـه حمايـة المرافق المدنية العديـدة والبنيـة التحتية اللازمة للانتقال الناجح الى حكومة عراقية، وعندما تحولوا الى الهجوم عن طريق اعمال التنشـيط والبحث في المنازل كانوا يفتقـوون في الغالب الى المـترجمين لكـي يشرحوا للاسرى ما يقومـون بـه ولماذا، وهي غلطة كلاسيكية فـي الجهود المضادة لحرب العصابـات فقد اهانوا الزعماء المدنيين وشملوا الابرياء وغير المتورطين مما ادى الى تصاعد الغضب الشعبي الـذي يصعب تسكينه.

٢. الخطأ الثاني ما يتعلـق بتسـريح الجيش العراقي والذي يعني اضافة اربعمائة الف رجل مسلح غـاضب الى صفوف العاطلين عن العمـل، وهي الخطوة التي تحتل المرتبـة الاولى في الخطوات الاقل فعاليـة في عمليات حفظ السلام الامريكيـة الاخيرة.

٣. كما قلل صانعو السياسة من حجـم تنظيم حزب البعث فبدلاً من تنظيـم بقايا البعثيين واستدعاء العاملين في الخدمة المدنية تم الطلب منـهم ان يتخلوا عن ولاءاتهم. لقـد نجـح صانعو السياسة في طرد البعثيـن الا ان ذلك دفع هؤلاء الى العمـل السري مما ضمن، فـي الواقـع، استمرار المعارضة.

في نهاية عرضنا هذا نجـد ان هذا الكتاب جدير بـالقراءة خصوصـاً وان مؤلفه اشار الى كـون الولايـات المتحدة لا تزال تشعر بالخطر بـالرغم من سقوط بغـداد وانتـهاء العمليـات العسكرية في العراق بقوله: "ان نهايـة الحرب الشاملة على الارهاب لا تـزال بعيدة المنال".